

## الفصل الثالث

### حياة السجن



## حياة السجون والتعذيب

### سجن جزيرة روبن :

تبعد جزيرة روبن عدة أميال عن مدينة الكساب في رأس الرجاء الصالح ، وبها سجن قديم جداً وهو من أشهر سجون العالم وحشية وقسوة في معاملة نزلائه ، فعلى سبيل المثال كانت الحراسة مشددة في داخل وخارج أسوار السجن بقوت مجهزة وكلاب بوليسية شرسة ومدربة ، فضلاً عن غنى للمنطقة المائية المحيطة بأسماك القرش الفتاكة ، كما أن الزنانات ضيقة جداً وقليلة ودرجة رطوبتها عالية والملابس كلها من الكاكي ، وبالزنانات بعض البطاطين القديمة ، وتبعد الحمامات الجماعية مسافة ( 200 ) ياردة عن الزنانات ، وإمعاناً في إهانة المساجين والتأكد من عدم قيامهم بأي أعمال عنف ، فإنه يتوجب عليهم الذهاب إلى دورات المياه جرياً وهم حفاة وعراة كما ولدتهم أمهاتهم بمرافقة الكلاب البوليسية لكل واحد منهم ، ويصرف لكل سجين نصف ملعقة سكر إذا كان أسوداً وملعقة سكر كاملة إذا كان ملوناً في اليوم الواحد ، كما أن الأكل يتكون من طحين الذرة وبعض الخضروات وقليل من اللحم في بعض الأحيان ، وأن الخبز شبه معدوم في هذا السجن .

وقد حدثني شاهد عيان بأن هناك نظام ( تخسيس الوزن ) يطبق على المساجين ، حيث يتم إنقاص كمية المولد الغذائية التي تقدم لهم يوماً بعد يوم حتى النهاية وذلك لفترة أقلها أسبوع فما فوق ، وتمتد إلى شهر ، وبذلك يتمكن

السجين الذي يصبح عظماً على جلد من المرور من خلال حلقات ضيقة أعدت خصيصاً للهياكل العظيمة ، غير أنها لازالت تنتفس (1).

## - مانديلا و حياة السجن :

بعد عدة أسابيع سمح لمانديلا ورفاقه بالخروج من الزنزانات إلى ساحة السجن والبدء في برنامج الأشغال الشاقة وهو تكسير الأحجار ، وقد أتاحت الفرصة للمساجين الذين وصل عددهم إلى 1000 سجين باللقاء والتحدث مع بعضهم البعض وتبادل الأسئلة والأغاز ، وكان مانديلا يسأل ويناقش عن الاشتراكية وأبطال التاريخ المعروفين أمثال ( هانبيال القائد القرطاجي المشهور الذي دافع عن بلاده وعن شمال أفريقيا ، وأراد أن يرد عدوان روما بالهجوم عليها وغزوها في عقر دارها ، ورغم أنه لم يفلح إلا أن الحياة هي وقفة عز ومبدأ ) .

في هذا المعتقل الرهيب كان مانديلا يعامل الضباط والجنود معاملة حسنة باعتبارهم منفذين للأوامر فقط ، أما الاتصالات بالخارج فكانت محرمة ومقطوعة ، وتوالت الأيام روتينية على هذا المنوال ، ولذا فإن صبر مانديلا نفذ وبدأ يحتج معبراً عن رأي رفاقه في رفضهم لذلك القهر والاضطهاد الذي يُمارس ضدهم في ذلك السجن السيئ السمعة ، والذي نفى إليه الإنجليز والهولنديون الكثيرون دون وجه حق .

---

( 1 ) رواية لمواطن جنوب أفريقي سجين في السجن العنصرية ، وكان أشهرها سجن روبن ، وقد اتقاه الباحث خلال سنة 1988 م في مدينة غايروني عاصمة جمهورية بوتسوانا .

وفي سنة 1959 م . قال وزير العدل - وأي عدل آنذاك - إن تحوطات أمنية كبيرة قد اتخذت بضرورة منع السفن من الاقتراب من شاطئ تلك الجزيرة بمسافة لا تقل عن ميل مهما كانت الأسباب .

وبعد العديد من الاحتجاجات والاضطرابات ومرور وقت ليس بالقصير سُمح لكل سجين أن يبعث برسالة واحدة إلى خارج السجن تتكون من 500 كلمة على أن تقرأ من قبل السلطات بالسجن وذلك مرة واحدة كل ستة أشهر .

وفي حين كان محظوراً على المساجين استقبال أطفال ما دون السادسة عشر، واستلام آلات تصوير وما شابه ذلك ، فإن الحديث بين الزوار والمسجونين يجب أن يتم باللغة الإنجليزية المعروفة لدى الحراس وبوضوح تام وبصوت مسموع ، ويحظر استعمال اللغات المحلية الأخرى في التحدث مع المساجين مهما كانت الظروف والأسباب.

وفي إحدى المرات بعد أن قطعت السيدة ويني مانديلا مسافة 1000كم وقامت بإجراءات طويلة وملء استمارات وطلبات ، سمح لها بالتحدث من خلال فجوة صغيرة لزوجها نيلسون مانديلا لمدة 45 دقيقة ، وذلك في مواضيع اجتماعية وعائلية فقط ، وكان هذا شأن بقية السجناء مع عائلاتهم .

لقد عملت السيدة ويني مانديلا في عدة مواقع للعمل ، منها عاملة نظافة في محل تصليح أحذية وبيع أثاث . . الخ ، كل ذلك من أجل توفير لقمة العيش لنفسها ولبناتها التي أصبحت مسؤولة عنهما ، وقد تعرضت أثناء ذلك لمضايقة البوليس العنصري ومطارداته ، حيث اتهمها بأنها تحاول مساعدة زوجها للخلاص من سجنه ، ثم تطور الأمر لدرجة أن حجزت في حبس

انفرادي لمدة 4 أيام ، وأطلق سراحها بعد تعهدات وحكم معلق لمدة 4 أشهر وقد كان ذلك في عام 1967 م .

لقد كبرت ابنتا مانديلا وأصبحت إحداهما تتساعل عن أبيها ولماذا هو غائب ، بينما ابنة الجيران تعيش مع والدها المقيم معها ومع والدتها .

إن والدها في حقيقة الأمر كان في تلك الفترة يقضي سجناً وأعمالاً شاقة مؤبدة ، لقد كان يحتج ويثور في وجه البوليس العنصري على تكسير الأحجار والمعاملة السيئة داخل أسوار السجن ، وكثيراً ما أضرب عن الطعام والذي كان غالباً ما يكون قليلاً من أرز مطبوخ لا يسمن ولا يغني من جوع ، وكان مانديلا قد كتب مع رفاقه عدة رسائل وتظلمات لتحمين أوضاعهم المعيشية بالسجن وتزويدهم بالبطاطين والأدوية اللازمة . . الخ ، غير أن طلباتهم لم تجد أذاناً صاغية وذهبت أدراج الرياح .

وبما أن تداول الصحف محرم بالسجن ، فإن مانديلا قد عوقب عندما ضبطت قصاصة ورق في زنزانتة ورغم ذلك حاول الحصول على المطبوعات والكتب ومواصلة دراسته القانونية من زنزانتة .

وكان السجناء ومعهم مانديلا يمرون بفترات تتضاعف فيها وحشية البوليس وقسوته ويتعرضون إلى التعذيب الشديد ، فإذا ما حدث أي عمل ثوري أو ميامسي في الخارج ، يتعرض المساجين للقمع والتكبل والعقاب على إثره داخل السجن ، فعلى سبيل المثال عند انطلاق حركة الكفاح المسلح في ناميبيا وتشكيل حركة سوابو سنة 1966 م ، والتي قبض على زعميها السيد ( ANDIMBU JA TOIVO ) اندمبوجا تويفو ، الذي أودع معهم السجن ، تم الضغط على المساجين ومنعهم من استقبال هذا المناضل أو حتى

التعاطف أو التضامن معه ، لقد حدث ذلك عندما أصبح فورستر ( J.B.VORSTER ) رئيساً للوزارة العنصرية خلفاً لـ ( DR. VEWOERD ) د. فروورد الذي اغتيل سنة 1966 م . كما كانت روديسيا العنصرية بقيادة إيان سميث آنذاك (استقلت الآن وأصبحت تسمى زيمبابوي ) كانت تقبض على المناضلين وتسلمهم إلى حكومة جنوب أفريقيا لتضمهم إلى باقي إخوانهم في سجن الميز العنصري هنا ، لقد كانت تلك الأيام حبلى بكثير من الأحداث العظام ، ففي جنوب القارة أيضاً تشكلت حركة زابو ( ZAPU ) بقيادة جوشوا أنكوموا لتحرير الشعب الزيمبابوي من هيمنة الأقلية العنصرية فيما يعرف بروديسيا آنذاك ، وهذا ما كان في عام 1980 م .

وفي عام 1969 م أصبح أوليفر تامبو رئيساً لحركة المؤتمر الوطني الإفريقي ، وفي 12 / مايو / 1969 م ، صدر قانون مقاومة الإرهاب والذي بموجبه نق البوليس العنصري على باب غرفة السيدة ويني مانديلا وهي نائمة واعتقلها وترك طفلتيها لوحدهما في البيت في وقت متأخر من الليل ، وأودعت السجن مع ( 21 ) شخصاً آخرين ، توفى أحدهم قبل حلول الصباح، ولحق به آخر بعد تسعة عشر يوماً .

لقد قضوا جميعاً بما فيهم السيدة مانديلا خمسة أشهر في الحبس الانفرادي ، وقد وصفت السيدة ويني حالتها المأساوية تلك بقولها :

" إنني لا أستطيع أن أفرق بين الليل والنهار إلا بفنجان قهوة الصباح " وتحدثت عن معاناتها وشعورها بالعزلة والاكتئاب نظراً للآلام التي تشعر بها وللإرهاب النفسي الذي تتعرض له ، فقد كان يرمى لها بالإنجيل ويطلب منها أن تصلي عسى ربيها أن يخرجها مما هي فيه ، لقد كان يُعدها عن بناتها يقطع

نباط قلبها ، ولكن ما عسى امرأة أن تعمل في وجه قوة عاتية ظالمة ، وبعد أسبوعين من القبض عليها بدأ التحقيق معها لمدة ( 5 ) أيام متتالية لم تتم فيها على الإطلاق ، وذكرت السيدة ويني أنها كانت تسمع أنين وصراخ المساجين الذين يعاملون بوحشية ويعذبون ، بعد أن يلقوا من أيديهم ويضربون ضرباً مبرحاً ، وكان من بينهم أحد قادة المسلمين في مدينة كيب تاون ، ومن أبرز المناهضين لسياسة الميز للعنصري وهو الشيخ الإمام هارون .

لقد كانت التهمة الموجهة إلى السيدة ويني مانديلا هي دعم الـ ( ANC ) واستغلال المآثم في التظاهر والعصيان ضد نظام للميز للعنصري، كما اتهمت بتلقى التعليمات من زوجها مانديلا من سجن جزيرة روبن المقبت.

وفي 17 / 2 / 1970 م ، أطلق سراح هؤلاء السجناء لبراءتهم بينما أعيد حوالي 20 منهم على عجل إلى السجن مرة ثانية ، أي حتى قبل أن يصلوا إلى بيوتهم ، وكانت السيدة مانديلا من بين هؤلاء .

وفي هذه الأثناء استدعى نيلسون مانديلا إلى مكتب ضابط السجن الذي أبلغه بوفاة ابنه تيمبي ( THEMBI ) ، ولم يكن هناك من أحد بجانبه كي يعزیه سوى صديقه سيزولو الذي حضر إلى زفزانته وجلس معه لفترة من الوقت مواسياً ومصبراً له على فقدان قلذة كبده . إن انقطاع أخبار زوجته عنه مدة، وعدم معرفته بحالها ومصير أسرته زاد من همومه ومعاناته في السجن.

#### - السجن رقم 64 / 466 في الفترة من 1971 إلى 1978 م :

لقد كان الإيمان بالمبادئ التي آمن بها مانديلا ودفاعه المستميت عنها، والتمسك بها هو حجر الزاوية في استمرار جذوة للنضال والكفاح في داخل

جنوب أفريقيا ، فقد شدد عزمه وصلب إيمانه ذلك السجن الفظيع ، كما أن التقاطه لأخبار انتصارات الحركتان التحريرتان في جنوب أفريقيا كحركة الـ ( FRELIMO ) في موزمبيق و ( MPALA ) في أنغولا عزز من إيمانه بحتمية النصر مهما طال الزمن ، ورغم كونه مريضاً بضغط الدم وآلام الظهر وغيرها ، إلا أنه واصل الكتابة والدراسة وحتى حينما عرض عليه الاعتراف باستقلال موطنه الأصلي مقاطعة الترانسكاي مقابل تخفيف الحكم عليه رفض بحزم قائلاً : " لا للتقسيم ولا للمساومة على المبادئ " ، لقد طالب زواره من عائلته وخاصة زوجته وأمه قبل وفاتها وأخته وبعض أصدقائه من الأمم المتحدة أن ترأف به نظراً لظروفه الصحية والتوسط لدى النظام للنصري لإطلاق سراحه ، ولكن لم تجد طلباتهم تلك أذناً صاغية ، وذهبت صيحاتهم آنذاك لأدراج الرياح .

وفي 25 / 7 / 75 م ، تحقق استقلال موزمبيق من الاستعمار البرتغالي البغيض بقيادة المناضل سامورا ميشيل الذي قاد حرب العصابات من على حدود بلاده الغربية والشمالية حتى تحقق له النصر ، وباعتباره ثائراً اشتراكياً تقدمياً فقد حوَصر اقتصادياً وسياسياً ، ودُعمت الحركات المناهضة له واتخذت جنوب أفريقيا والإمبريالية العالمية مواقف عدائية ضده ، حتى أجبرته على توقيع معاهدة ( نكوماتي ) في 16 / 3 / 1984 م مع جنوب أفريقيا لحسن الجوار والتعاون ، ورغم ذلك فلم تأمن جنوب أفريقيا جانبه ، وقد لقي حتفه إثر تحطم طائرته فوق أراضي جنوب أفريقيا بعد عودته من زامبيا وحضوره اجتماع رئاسي هناك خلال شهر أكتوبر 1987 م ، وتولى بعده الرئيس سيسانو وهو أكثر اعتدالاً من الرئيس السابق . وقد بدأ قي تقوية علاقاته مع الغرب وجنوب أفريقيا بعدة اتفاقيات لحل مشاكله المختلفة معهما .

كما أن ما كانت تسمى بروديسيا الجنوبية قد تحررت وأصبحت تسمى زيمبابوي وعاصمتها هراري بدلاً من سالزبوري ، وقد جاء ذلك بعد أن دعمت قوى التحرر في أفريقيا القيادات الثورية في زيمبابوي ومنها كل من : جوشوا أنكومو زعيم حزب زابو سابقاً ، وروبرت موغابي الرئيس الحالي ورئيس حزب زانو مادياً ومعنوياً ، الأمر الذي جعل بريطانيا ترضخ للأمر الواقع وتوقع اتفاقية (لانكستر) في عام 1980 م ، وتتبوأ زيمبابوي مركزاً مرموقاً خاصة بعد احتضانها لمقر منظمة دول عدم الانحياز .

إن تزايد الغضب والنقمة على الميز العنصري قد تطور بشكل ملحوظ في السنوات الماضية ، وتؤكد إحدى الرسائل الممهورة بتوقيع نيلسون مانديلا والتي هربت من السجن على أن استخدام السلاح وحصل للبنادق ووحدة للتضال هو الكفيل بالقضاء على الميز العنصري .

كما أن نداءات وبيانات القس توتو وبالذات عام 1976 م ، والتي توضح أن الغضب الذي كان يأتي من الرؤوس أصبح الآن ينطلق من البطون والأمعاء الأفريقية ، هذا فضلاً عن مناهضة الميز العنصري بالكتابة وبالشعر والتأليف ، ومن أشهر الكتاب السيدة زندي ( ZINDZI ) ابنة مانديلا ، كما يتضمن ذلك الغضب والرفض إحياء ذكرى المعتقلات والمجازر البشرية ، لقد تزايد الأمر حدة إذ تقول الإحصائيات أن متوسط ما يتمتع به الأبيض في مجالات التعليم والإسكان ما يعادل 621 ( رندا ) ( الرند نصف دولار تقريباً ) في حين كان نصيب الإفريقي الأسود 72 رنداً فقط ، ورغم وجود 400 ألف عامل يشتغلون بالمناجم وهي أقصى أنواع الأعمال الشاقة في قاع الأرض بجنوب أفريقيا ، إلا أن 2 مليون عامل آخر أسود بدون عمل للبتة .

إن ازدياد النعمة على الميز العنصري واستقلال زيمبابوي وموزمبيق وضغط الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، وخاصة قراره في 3 / 6 / 1980 م بإطلاق سراح مانديلا جعلت الكثيرين يُذكرون بدرس روديسيا ويعتقدون أن إطلاق سراح نيلسون مانديلا سيكون نقطة بداية في تغيير شامل وكبير في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في جنوب أفريقيا .

وبعد سنوات عديدة من الحظر على وينسي مانديلا من مغادرة جوهانسبرغ تمكنت من زيارة صديقتها فاطمة مير ( وهي مسلمة في مدينة درين ومويدة لها ومن المناهضين لسياسة التمييز ) . ولاشك أنها بنتها حزنها وآلامها ووحدها ، خاصة وأنها مدرسة في جامعة ناتال وتشارك في نشاطات نسائية عديدة في جنوب أفريقيا.

في 16 / 6 / 76 م ازدادت حدة الغضب لدى السود ضد قوانين التعليم العنصري الأبيض بلغة الأفريكانز الاستعمارية وتظاهر الأفارقة في الشوارع ورجعوا جنديين بالحجارة حتى الموت انتقاماً لمقتل شاب وقتاة ، وكانت أحاديث نيلسون مانديلا وخطبه والحكم عليه بالسجن المؤبد تلهم الجماهير وتحفزها على الثورة الشعبية وعلى الاعتصامات والإضرابات ، وتقول الإحصائيات أن قطعان الهمج العنصريون قد قتلوا في ستة عشر شهراً أكثر من 600 أفريقي ، وجرحوا حوالي ( 4000 ) آلاف آخرين ، فضلاً عن إيداع الآلاف في السجون ، في حين هرب المئات عبر الحدود الشمالية إلى ما يعرف بدول المواجهة مثل زيمبابوي وبوتسوانا وموزمبيق .

لقد طال السفر في رحلة العذاب وتقطع وصل الرفاق الذين فرقت  
بينهم النوائب والأيام ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وهكذا على  
رأي الشاعر العربي الذي قال :

من لم يمت بالسيف مات بغيره      تعددت الأسباب والموت واحد.

فهذا المناضل روبرت سوبوكي ( ROBERT SOBOKWE ) يموت بداء السرطان ، في حين قضى الشباب ستيف بيكو  
( STEVE BIECO ) نحبه من جراء التعذيب ، حيث رمى عارياً ومغمىً  
عليه في الصندوق الخلفي للسيارة الطاوية ( اللاندروفر ) لمسافة 700 كم ،  
وذلك في 12 / 9 / 1977م .

كما مات يوسف دادو ( Y. DADOO ) وهو من أبرز من قيادات  
الحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا ، الذي يرجع لأصول آسيوية ، فقد كان  
يقود المظاهرات ويخطب فيها مناهضاً للعنصرية والعنصريين .

كما قتل أحمد تيمول ( AHMED TIMOL ) الذي قُذِف من الدور  
العاشر لمركز البوليس العنصري ، كما توفي مايبثلا محابي ، كما دبر حادث  
اغتيال السيد إبراهيم تيرو ( IBRAHIM TIRO ) قائد حركة الشباب في  
جنوب أفريقيا وذلك بتفجير سيارته بقنبلة موقوتة في بوتسوانا .

وبالرجوع إلى الخطابات التي كان يبعث بها مانديلا وزوجته من  
السجن لأصدقائهما يمكن معرفة بعض من أوضاع الأفارقة السود داخل تلك  
الأسوار ، فهم يعيشون في وضع مزرٍ يفوق الوصف .

وفي 13 / 5 / 80 م ، سمح العنصريون بدخول صحيفتين يوميتين للسجناء ، إحداهما إنجليزية والأخرى بلغة الأفريكانز .

وخلال سنوات سجن مانديلا ، التي امتدت لأكثر من ربع قرن ، أصبح النداء لتحريره من السجن رمزاً لرفض سياسة التمييز العنصري ، ففي 10 يونيو 1980 م تم نشر رسالة استطاع مانديلا إرسالها إلى المؤتمر الوطني الإفريقي ، قال فيها : " اتحدوا وجهزوا وحاربوا ، إذ ما بين سندان للتحرك الشعبي ومطرقة المقاومة المسلحة سنسحق الفصل العنصري " .

- **ظروف مانديلا في السجن العنصرية خلال الفترة من 1982 / إلى 1985 م :**

في شهر 4 أبريل 1982 م ، تم نقل كل من مانديلا وأحمد كاتراوا (المسلم ) ومهلابا وملانخيني إلى سجن نو حراسة أكثر تشدداً ، وهو سجن بولس مور ( POLLS MOOR ) الذي يبعد حوالي الساعة بالسيارة من مدينة لكاب ، وفي هذا السجن تحسن الوضع قليلاً عن ذي قبل ، فقد زاد عدد الصحف التي يمكن الحصول عليها فضلاً عن إمكانية استعمال جهاز راديو ( VHF ) لاستقبال المحطة الإذاعية المحلية فقط ، وفي عام 1983 م اشتمى مانديلا لزوجته في إحدى رسائله إليها من الأوضاع الصحية السيئة وظروف رفاقه المأساوية ، وقد نشرت بعض الصحف تلك للشكوى وخاطبت زوجته أصدقاءها في لندن بما يعانيه زوجها في ذلك السجن .

وفي هذه الأثناء اتخذت جنوب أفريقيا سياسة هجومية جديدة تجاه الدول المجاورة لها أو ما يسمى بدول المواجهة ما بعد سنة 1984 م ، واستعملت تجاهها سياسة الترهيب والترغيب ، فقد شنت هجمات عسكرية

على مواقع زعمت أنها قواعد لأعضاء حركة الـ ( ANC ) فتعرضت موزمبيق لتلك الاعتداءات وكذلك بتسوانا وزيمبابوي وحتى زامبيا التي تعتبر بعيدة إلى حد ما .

كما زعزت جنوب أفريقيا العنصرية أنظمة هذه الدول بالتحالف مع مناوئيتها ، وذلك مثل الدعم التي تحصلت عليه حركة ( RENAMO ) رينامو المعارضة في موزمبيق ، فضلاً عن الضغط على هذه الدول لتوقيع اتفاقيات ثنائية معها مثل اتفاقية نكوماتي التي وقعت مع الرئيس الموزمبيقي الراحل سامورا ميشيل في ( 1984 م ) ، وربما تكون هناك أسباب سياسية واقتصادية دفعت موزمبيق لتوقيع تلك الاتفاقيات آنذاك .

كما تميزت السنوات الخمس الأخيرة بظهور عدة حركات وتنظيمات سياسية ودينية مناهضة للميز العنصري ، ومن أشهرها تجمع ( UDF ) للجهة الديمقراطية المتحدة ، التي تتضوي تحتها عدة حركات وتنظيمات سياسية وشبابية وطلابية للمطالبة بالمساواة بين الأجناس ، وبرز زعماء دينيون مثل القس دزموند توتو داعية الإصلاح الديني العالمي ، والحاصل على جائزة نوبل للسلام ، وكذلك السيد آلان بوساك ( ALLAN BOESAK ) ( القس الإفريقي ورئيس مجلس الكنائس العالمي ، وهو مؤلف إصلاح شهير ، كذلك كان هناك أعضاء مسلمون في حركة ( UDF ) مثل د . سلوجي الذي ما أن يخرج من السجن حتى يعاد إليه نظراً لإلهابه مشاعر الجماهير بخطاباته الحماسية المؤثرة والمناهضة للعنصرية .

في 12 / 5 / 1984 م سمح لمانديلا مصافحة زائريه في السجن ومقابلتهم مباشرة لأول مرة ، فقد عانق زوجته وابنتيه التي كانت إحداها في

للثاني والعشرين من عمرها ، وذلك في الطابق الثالث من مبنى بولس مسور بحضور رفيقه سيمولو .

وفي هذا الوقت إزداد الضغط العالمي والصيحات المناهية بإطلاق سراح مانديلا وإيجاد إصلاحات جذرية لإلغاء نظام الميز العنصري وتطبيق مقاطعة اقتصادية وسياسية لنظام ( الأبارتهيت ) ، كما أن العمل الثوري الذي قامت به عدة حركات من السود الأفارقة في جنوب أفريقيا ومن أهمها بعد الـ ( ANC ) حركة الـ ( PAC ) المؤتمر الوطني الجامع ، وحركة الوعي الأسود ( BCMA ) ، عجل من نهاية نظام الميز العنصري في جنوب أفريقيا.

وفي عام 1984 م سمح لعضو برلماني يدعى مستر بيتيل ( MR. BETHELL ) بزيارة مانديلا لأول مرة ، وقد أوضح له مانديلا المعاملة القاسية والعزل اللذين يتعرض لهما رفاقه في السجن ، والوضع المزري للزنايات ، وقال : نريد أن نعيش مع عائلاتنا الأفريقية وليس العائلة هي فقط الزوجة والأولاد كما هو في المفهوم الأوروبي ، كما نفى إشاعة كونه مريضاً بالسرطان ، ومن الجدير بالذكر أن مانديلا كان يعالج من أمراض السل ، فيما عانى صديقه سيمولو في السنوات الأخيرة من أمراض في العيون، الأمر الذي يمكن أن يصيبه بالعمى النهائي ، وأضاف وسط نظرات الحراس المسلطة عليه ، إن النظام العنصري هو الذي فرض علينا الكفاح المسلح وحمل السلاح ، وسوف لن نلقيه حتى نجد أدناً صاغية للتفاوض والاعتراف بحقوقنا كاملة ، إننا ضد قتل الناس ، ولكن سنستمر في مهاجمة المواقع الحيوية لنظام الميز العنصري .

ثم التقى مانديلا ببرفسور أمريكي يدعى صمويل داش ( SAMUEL DASH ) الذي قال : شعرت بأثني في حضرة رئيس دولة وليس زعيم عصابات ، وقال: لقد أخبرنا بأنه لا يرغب في طرد البيض من بلاده ، ولكن عليهم بالمشاركة معنا في الحكم ، وقال : أن المسألة ليست أن يتزوج للسود من النساء البيض ، ولكنها قضية حرية شعب ، وعدالة ، وحق ، ومساواة .

كما زاره العديد من الصحفيين والمسؤولين في العالم ، وقال بعضهم إنه ثوري ، وقال آخرون إنه إرهابي وليس له بديل عن العنف إلا بالإلغاء الميز العنصري ، وتحقيق أمانى وطموحات السكان الأصليين في تقرير مصيرهم وحكم أنفسهم بأنفسهم والاعتراف بأدبيتهم وحقهم في صوت لكل إنسان .

في 30 / 1 / 1985 م ، خطب بوترا رئيس جنوب أفريقيا وأعلن أن مانديلا يمكن أن يطلق سراحه شريطة إدانة العنف وعدم استخدامه مرة ثانية ، وحينما أخطرت زوجته زوجته في 5 / 2 من العام نفسه بفحوى الخطاب رفضه رفضاً باتاً وكتب رداً قريئاً بالنيابة عنه من قبل ابنته زنديزي في اجتماع حاشد للسود في حي سويتو . وأكد فيه أنه عضو في حركة الـ ( ANC ) وسيظل ، ونفى كونه إرهابياً ، وأشار إلى طلبه هو وزملائه المقدم إلى ملان ( MALAN ) عام 1952 م للتفاوض حول طاولة مستديرة ، غير أن الطلب لم يُعَر أي اهتمام من قبل سلطات الميز العنصري .

وتحدى مانديلا بوترا بقوله : دعه يُنهي ( الأبارتهايت ) ويضمن حرية سياسية لجماهير السود في جنوب أفريقيا ، ويطلق سراح المعتقلين والمساجين .

وقال : ما هي الحرية التي تعرض عليّ وأنا وشعبي لازلنا نحتاج إلى ختم وجواز عبور داخل بلادنا ، ولا زلنا نعاني من سياسة التفرقة حتى بين أفراد الأسرة الواحدة ، ما هي الحرية وأبناء شعبي لا يُحترمون ؟ إن حريبتكم وحررتي واحدة لا تتجزأ ، وكان مانديلا يتحدث باسم رفاقه بالسجن جميعاً دون استثناء .

لقد تعرضت أسرة المناضل نيامون مانديلا أثناء فترة سجنه للطويلة هذه لمعاملة شديدة وعوز ومضايقات واتهامات ومجن وتحقيقات مستمرة ، كما تعرض بعض أفراد أسرته إلى سحب جوازات سفرهم ومنعهم من السفر وبالذات زوجته التي شنت عليها حملات كاذبة بقصد تشويه سيرتها ، وبالتالي تلطيخ سمعة وتاريخ زوجها والتقليل من دوره وتحجيم تضحياته الجمة لما يقرب من ثلاثة عقود من الزمان .

إن تحكم المستعمرين البيض في الاقتصاد بجنوب أفريقيا بشكل عام وربط هذه الشبكة الاقتصادية بمصالح الغرب وأهدافه وسياساته حال دون تطبيق المطالبة العالمية بتطبيق مقاطعة اقتصادية وسياسية شاملة على نظام الميز العنصري ، وتكفيينا سياسة مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا على ذلك ، فهي المؤيد القوي والمساند لجنوب أفريقيا العنصرية ، وقد وقفت أمام كل محاولات الضغط على هذا النظام ، وما موقعها في مؤتمرات دول الكومنولث عنا ببعيد .

وكرر على الحجج الواهية بأن الحصار الاقتصادي على جنوب أفريقيا سيؤثر بالتالي على دول المواجهة ودول ووسط وجنوب للقارة ، فإنه يمكن القول بأن تلك الدول لازلت تعاني من التخلف والفقير والبطالة والديون

وانخفاض مستوى المعيشة فيها إلى درجة متدنية رغم علاقاتها الحالية اقتصادياً وسياسياً مع جنوب أفريقيا ، ولذلك فليس لها ما تخسره سوى النزر اليسير . إن اعتداءات جنوب أفريقيا وغاراتها على الدول المجاورة وآثارها المولمة واضحة للعيان ، فلم يعد للأفارقة ما يخسرونه سوى أغلالهم .

وتنكر بعض الإحصائيات بأن أكثر من 75 % من سكان جنوب أفريقيا السود يؤيدون تطبيق المقاطعة الاقتصادية على هذا النظام العنصري الذي يطبق سياسة المراوغة ، فهو في حين يحاول أن يربط جسور العلاقات مع دول مثل زائير وساحل العاج وملاوي وغيرها من الدول الأفريقية ، فإنه في نفس الوقت كان يقف بكل قوة للحيلولة دون أن يحقق شعب ناميبيا سيادته وحرية فوق أرضه بقيادة حركته التحريرية ( سوايو ) .

إن مانديلا الذي جاوز السبعين من عمره قبل الإفراج عنه يمثل الكفاح الثوري في جنوب أفريقيا ، ولا زالت خطبه وأحاديثه تشنف أذان الملايين من المحبين للحرية والاعتناق الذين اكترو بنيران العنصرية البغيضة .

إن ضغط الرأي العام العالمي في السنوات الأخيرة إذا ما أضيف إلى العمل المباشر الثوري داخل دولة النظام العنصري أرغم حكومة بريتوريا على أن تقوم بتخفيف سجن مانديلا إلى حبس في بيت داخل أسوار السجن على أن يتمكن من مقابلة أفراد أسرته في بعض الأحيان .

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ، فإنه قد جرت مغاضات واتصالات ولقاءات كثيرة في جنوب أفريقيا وخارجها لإطلاق سراحه ، غير أن مانديلا رفض الخروج من السجن إلا بعد أن تتحقق مطالب شعبه في إلغاء نظام الميز للعنصري البغيض في بلاده .

إن تكريم الشعب الليبي وشعوب العالم المناضل الإفريقي بمنحه الجوائز التقديرية وشهادات التكريم ، لهو أكبر دليل على الاعتراف بالدور البطولي الذي قام به ذلك الزعيم الذي نذر حياته كلها من أجل قضية إنسانية خالدة وهي إلغاء نظام الميز العنصري في بلاده جنوب أفريقيا .

لاشك أن المستقبل للشعوب وقواها الحية ، وسيخرج مانديلا منتصراً لشعبه وللحقوق الإنسانية ( وقد خرج فعلاً من السجن ) مردداً مع شعبه النشيد الرائع " مانديلا ما زال معنا " .

ففي 11 فبراير 1990م ، أثمرت جهود ومثابرة المؤتمر الوطني الأفريقي ( ANC ) وكفاحه المسلح ، والاضغوطات الدولية ، بالإضافة إلى الصبر للامحدود والعزيمة القوية والإيمان الراسخ بحتمية النصر الذي آمن به مانديلا والتزم بتنفيذه ، وقد أثمر ذلك كله إلى إطلاق سراح مانديلا بأمر من رئيس الجمهورية في جنوب أفريقيا آنذاك فريدريك ويليامز دي كليرك ، الذي أعلن إيقاف الحظر الذي كان مفروضاً على المؤتمر الوطني، وقد حصل مانديلا مع الرئيس دي كليرك في عام 1993 على جائزة نوبل للسلام والمعروفة دولياً .